

الاعتداءات على الموروث الديني والثقافي بما يشمل المقدسات الدينية الإسلامية والمسيحية،

المستشار خليل قراجة الرفاعي
الخبير القانوني في القطاع الثقافي والديني.

أولاً : مستشفى المعمداني

بين الإنسانية والوحشية ،وبين الحياة والموت ،وبين الرحمة والقسوة والبشاعة ، لم يكن مستشفى المعمداني بجوار الكنيسة ورعايتها إلا تعبيراً صادقاً عن رسالة سماوية تدعو إلى التراحم وتفضيل الحياة على الموت.

هذا المستشفى الذي يقدم خدماته الإنسانية إلى ما يقرب من نصف مليون إنسان بين مسلم ومسيحي. في جو من المحبة والود بين من آمن بالإنسانية أو سعى إليها. منذ عام 1882م

المستشفى الأهلي العربي (المعمداني) الذي تشرف عليه الكنيسة الأسقفية الإنجليكانية في القدس عاصمة دولة فلسطين. وهي من أقدم المستشفيات في قطاع غزة. بل من أقدمها في فلسطين على وجه العموم. وهو جزء من كنيسة القديس (برفيوريوس) ويقع قرب مسجد الشمعة ومقبرة الشيخ شعبان.

تأسس المستشفى في نهاية القرن التاسع عشر.

ويوم أن تم استهدافه المباشر كان هناك أرواح بريئة لجأت إليه لعله يشكل ملاذاً آمناً من بطش الهجمة التي يقوم بها الاحتلال.

وقد تم قصف المستشفى ليتم ارتكاب أكبر مجزرة وإبادة أكثر من خمسمئة إنسان مسالم.

قتلوا في يوم كانت الكنيسة قد أعلنت عنه يوم صيام وصلاة من أجل السلام .

وعندما نعلم أن المستشفيات تعتبر مناطق ملاذات آمنة وفق مبادئ القانون الدولي الإنساني ، لعل هناك من يدرك حجم المصيبة التي جرت وشكلها وعمقها الإنساني والأخلاقي.

ثانياً: المسجد العمري

يعد المسجد الثالث من حيث القيمة التاريخية في فلسطين بعد المسجد الأقصى المبارك والإبراهيمي في الخليل. وقد وصفه الرحالة العربي ابن بطوطة بالمسجد الجميل، وهو من أقدم المساجد التي شيدت في زمن الخلافة الراشدة وسمي ب (العمري) تيمناً بالفاروق عمر بن الخطاب،

ويتضمن بنيانه 38 عموداً تراثياً من الرخام ليعكس بذلك الفن الإسلامي الفلسطيني الرفيع وله مئذنة في العهد المملوكي وعلى طرازهم الجميل.

وقد أنشأ الظاهر بيبرس مكتبة المسجد العمري قبل أكثر من سبعة قرون ففي عام 1227م أصبح في إطار المسجد مكتبة الظاهر وكان فيها ما يقارب العشرين ألف كتاب مخطوط.

وقد سبق أن دمر الاحتلال أجزاء من المسجد والمكتبة في عدوانه عام 2014م. ففي الثامن من شهر ديسمبر من عام 2014م. تعرض المسجد والمكتبة إلى تدمير كبير .

ثالثاً: المتاحف والمراكز الثقافية والتراثية في غزة.

هناك أكثر من ألف موقع ديني ومئة موقع ثقافي قد تم محوها بصورة كاملة عن الوجود. ومن أشهر المتاحف وأجملها التي جرى تدميرها متحف غزة. ومتحف العقاد ومتحف القرارة الثقافي.

هذه المتاحف وثقت التطور الحضري الفلسطيني وساهمت في تثبيت الهوية الثقافية والتراثية الفلسطينية.

وهناك العديد من المعالم الحضارية والتاريخية قامت قوات الاحتلال بتدميرها في غزة .

ولقد وقفنا عند المستشفى المعمداني والمسجد العمري ومكتبته ، وجميعها تشكل معالم تاريخ الحضارة في فلسطين. وهناك كنيسة القديس (برفيوريوس) والتي تعتبر ثالث اقدم كنيسة في العالم. ومقبرة رومانية عمرها أكثر من ألفي عام.

الجانب القانوني

اتفاقية لاهاي عام 1954 لحماية الممتلكات الثقافية في حالات النزاع المسلح ، والتي وقعت عليها إسرائيل فأصبحت مشمولة في إطارها وملزمة بتنفيذها ، تلزم الموقعين على حماية المعالم التاريخية من ويلات المعارك والحروب.

ولقد جاء في ديباجة الاتفاقية هذه (أن المحافظة على التراث الثقافي فائدة عظيمة لجميع شعوب العالم، وأنه ينبغي أن يُكفل لهذا التراث حماية دائمة).

كما جاء في الفقرة الرابعة من المادة الرابعة (تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة بالامتناع عن أية تدابير انتقامية تمس الممتلكات الثقافية ،

وعليه؛ فإن قواعد القانون الدولي الإنساني قررت توفير حماية قانونية خاصة بالملوك والأعيان اللازمة لإشباع حاجات الإنسان المادية والضرورية لبقائه على قيد الحياة.

واهتمت بحماية الأعيان والملوك التي تمثل حاجته الروحية والمعنوية والتي تشكل التراث الثقافي للشعوب؛ فحياة الأشخاص هي روحية قبل أن تكون مادية ولا تستقيم الحياة بدون الجانب الروحي للبشرية.

إن الاحتلال وبقرار سياسي من حكومته وما فوقها ، يعتمد تدمير العقل الفلسطيني والرواية الفلسطينية في إطار تغييب المنظور الحسي والبصري واستبعاد الهوية الوطنية الفلسطينية من الذاكرة البشرية. وخلق حالة من الضياع والته والتشوه الفكري ..

إن هذا حلقة كبيرة ومباشرة في طمس الهوية الوطنية الفلسطينية. وهي جزء من الحرب التي بدأت في مدينة القدس من خلال محاولات أسرلة المدينة وتغييب الصورة العربية والإسلامية للمدينة.

إن القوة الناعمة للشعوب هي الثقافة المتمثلة بتراث أجداده ومن مرّوا في أرضه. وما يجري هو إبادة الأثر الإنساني بأكثر الوسائل خشونة وقسوة ووحشية.

ولعل هذا الهجوم المستمر على الثروة الوطنية الفلسطينية من ملوك وأعيان فكرية وعلمية وتراثية وثقافية. يبين عمق الجذور الفلسطينية في الأرض وفي الوعي البشري.

ولهذا فإن المحتل يسعى إلى استنزاف المخزون القومي الفلسطيني من الإنسانية وعمرانها ووجودها. في ظل معركة الهوية لهذه الأرض.

بالنهاية لا يمكن قبول هذا الحال. وعلى المجتمع الدولي إلزام إسرائيل ب:

1. وقف العدوان على شعبنا الفلسطيني في غزة. ووقف استهداف مقدراته العلمية والدينية والتعليمية والتراثية الثقافية.

2. إلزام المحتل بإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه.

3. اعتبار ما يقوم به المحتل مخالفات صريحة ومتعمدة لاتفاقية لاهاي لعام 1954م ولمبادئ القانون الدولي الإنساني.